

## خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٩/٥/٢٠٢٦

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

\*\*\*\*\*

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ \* مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ \* إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ \* اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ \* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

سأتحدث اليوم عن التواضع الذي تحلى به الخادم الصادق لسيدنا ومطاعنا محمد المصطفى عليه السلام، وذلك وفقًا لتعاليمه عليه السلام وسنته المباركة، ونصائحه عليه السلام التي أسداها لجماعته للتحلي بالتواضع. ونظرًا إلى المستوى الرفيع من التواضع الذي تجلّى فيه عليه السلام، فقد منحه الله تعالى شهادةً على ذلك بالإلهام. ففي ١٨/٣/١٩٠٧م، تلقى عليه السلام وحيًا: "لقد أعجبته سبيلُ تواضعك".

يقول المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام: "لقد كُشف على هذا العبد المتواضع أن حياتي تماثل حياة المسيح عليه السلام في فترتها الأولى من حيث الفقر والتواضع والتوكل والإيثار والآيات والأنوار، وأن هناك تشابها كبيرا بين طبعي وطبيعة المسيح، وكأهما قطعتان من جوهر واحد، أو ثمرتان لشجرة واحدة، ويوجد بينهما اتحاد شديد بحيث لا يوجد بينهما إلا فارق بسيط جدا من حيث النظرة الكشفية. ثم هناك مماثلة ظاهرية أيضا وهي أن المسيح كان تابعًا لنبي كامل وعظيم، أعني موسى عليهما السلام، وكان خادمًا لدينه، وإنجيله فرع للتوراة، وأنا أيضا من أحقر خدام ذلك النبي الجليل الشأن عليه السلام الذي هو سيد الرسل وتاج المرسلين أجمعين". (البراهين الأحمدية المجلد الأول)

ذات مرة قال شخص للمسيح الموعود عليه السلام: لقد عانيتم مشقة كبيرة في تأليف كتاب حقيقة الوحي وقراءة مسوداته، وبالنتيجة تعطلت صحتكم مرة بعد أخرى، فعليكم أن تستريحوا لبضعة أيام واتركوا القراءة والكتابة كليًا، فقال عليه السلام في الجواب:

"لا أهمية لمشقتنا قط، بل الحق أنني أخجل أنني عندما أنظر إلى مشقة تحملها الصحابة عليهم السلام وأرى كيف رضوا بكل سعادة أن تُقطع رؤوسهم أيضا في سبيل الله".

وقال عليه السلام في مكان آخر: "يعترض عليّ قليلو الفهم أنني أزيد مدارجي أكثر من اللازم. إنني أقسم بالله على أنه ليس في طبعي وفطرتي أي ميل إلى حب مدحي أو الإعجاب بإظهار عظمتي. إنني دوما أحب

حياة التواضع والخمول، لكن ذلك لم يكن بوسعي بل كان خارج قدرتي، إذ قد أخرجني الله بيده وقد أظهر الله مدحي وأظهر جلالي وعظمتي في كلامه الطاهر الذي أنزله علي، وكل هذه المدائح والجلال والمجد للنبي ﷺ فقط".

كان المسيح الموعود ﷺ ينصح حديثي العهد بالإسلام أيضا بالتحلي بالتواضع الإسلامي والبساطة. فقد ورد:

"في ٢٢ أكتوبر ١٩٠٣م، جاء إلى حضرته ﷺ شخص أسترالي، حديث العهد بالإسلام، اسمه محمد عبد الحق. وفي أثناء الحديث قال حضرته ﷺ: من مبادئنا أننا نعيش حياة بسيطة وأن جميع مظاهر التكلف التي اتخذتها أوروبا في العصر الراهن لوازم الحياة فإن مجلسنا منزله من كل ذلك، فنحن لا نتمسك بالعادات والتقاليد، بل نراعي كل عادة وتقليد يُخشى أن يؤدي إهماله إلى ألم أو معصية، أما في بقية الأمور من الأكل والشرب والقيوم، فنحب فيها حياة بسيطة".

هذه كانت المعايير العليا التي كان ﷺ يريد أن ينشئها في أفراد جماعته، فقال في مكان: "يجب التحلي بالتواضع، وإن تعلم التواضع ليس صعبًا كثيرًا، حتى ليست هناك حاجة للتعلم فالإنسان متواضع أصلاً، وخلق من أجل التواضع: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٧). فالتكبر وما شابهه من الصفات أمورٌ مصطنعة، إذا تخلص المرء عن هذا التصنع فلن يتراءى فيه إلا التواضع فحسب".

فتحلي الإنسان بهذا المبدأ ينال قرب الله تعالى أيضا. يقول المسيح الموعود ﷺ ناصحا بالتحلي بالتواضع: "طوبى للذين يحسبون أنفسهم أذل وأصغر من الجميع ويتكلمون باستحياء، ويكرمون الفقراء والمساكين، ويعظمون الضعفاء ولا يستهزئون شراً واستكباراً، ويذكرون رهم الكريم ويمشون على الأرض هونا.

فأكرر وأقول بأنهم الذين أعدت لهم النجاة. أما الذي لم يخرج في هذه الدنيا من جحيم الشر والكبر والتعجب والاستكبار وعبادة الدنيا والجشع والسيئات فلن يخرج منها في الآخرة أيضا. (أي إن الأعمال الحسنة التي كسبها الإنسان في هذه الدنيا ستفعله في الآخرة أيضا) ماذا أفعل ومن أين آتي بكلمات تؤثر في قلوب هؤلاء القوم. (أي في المؤمنين بي) اللهم ارزقني كلمات وأهمني كلاما يلقي على قلوبهم نوره ويزيل سمومهم بتأثيره الترياق. إن روعي تضطرب شوقا إلى أن تأتي أياماً أرى فيها في جماعتي بكثرة أناسا تركوا الكذب في الحقيقة، وقطعوا مع رهم عهدا صادقا أنهم سيجتنبون كل شرٍّ، وسيبتعدون كل البعد عن الكبر الذي هو أساس كل شرٍّ ويخافون رهم دائما".

يرغب بعض الناس في الجلوس في المقاعد الأمامية بمناسبة الجلسة السنوية والحفلات والمناسبات المختلفة. كما يرغبون عادة في الجلوس بوجه خاص فيما يُعرف بـ"المنطقة الخضراء" أو أماكن أخرى قريبة من المنصة في أيام الجلسة. فإن كان الدافع وراء ذلك هو الرغبة في الجلوس قريبا من خليفة الوقت والاستماع إليه عن

كتب، فهذا أمر مقبول ومفهوم، غير أن الأثانية قد تتسلل أحياناً إلى هذه الرغبة، وهو ما لا ينبغي أن يكون، إذ يُودي ذلك إلى نشوء المشاكل في عمل المسؤولين.

فيقول المسيح الموعود عليه السلام ناصحاً أصحاب هذه الرغبة: "إذا حضر المرء مناسبةً ما فليختر لنفسه مقعداً في الطبقة الدنيا، ولو كان مستحقاً لمقعد آخر فسوف يُجلسه المضيف هناك ويُكرمه." فإذا كان أحد يريد أن يجلس في الصف الأمامي فيقتضي منه النظام أن يقدم لهذا الغرض طلباً ليروا رأيهم. وإذا لم يهتم النظام بطلبه أو رفض مضطراً فيجب طاعة النظام دون أي اعتراض أو شكوى. إذ لا بد من التواضع للفوز بحب الله تعالى أيضاً. فيقول عليه السلام بهذا الشأن:

"ليس بوسع أحد أن يفوز بحب الله ورضاه ما لم يتّصف بصفتين؛ الأولى: أن يحطم كِبْرَهُ نهائياً، فكما يتحطم الجبل الشامخ ويستوي بالأرض، كذلك يجب على الإنسان أن يتخلى عن أفكار الكبر والزهو تماماً، ويتحلى بالتواضع والمسكنة. والثانية: أن يقطع علاقاته السابقة كلها، فكما أن الجبل يتحطم ويصبح **﴿مُتَّصِدِّعًا﴾** (كما ورد في القرآن)، وتنفصل أحجاره بعضها عن بعض، كذلك يجب على المرء أن تنفصم جميع علاقاته السابقة التي كانت مدعاة للرجس ولسخط الله تعالى."

المقصود من ذلك هو قطع العلاقات القديمة التي كانت مصدراً للشرور والمفاسد، أي تلك العلاقات الخاطئة التي كانت قائمة في حياتكم. وليس المراد من ذلك قطع جميع الروابط والعلاقات، بل الغاية هي أن تنشأ في النفس رغبة صادقة في الخير والصلاح، وأن تصبح اللقاءات والصدقات والمحبة والعداوة كلها خالصةً لله تعالى وحده. وينبغي أن يكون كل عمل ابتغاءً لمرضاة الله تعالى.

وقال عليه السلام في مكان آخر: "لاجتنب الذنب في حق الله هناك آية **﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾** فالذين يدعون الله تعالى بتواضع باستمرار واضعين في الحسبان أن الله تعالى قد يقبل منهم أي نوع من التواضع، فسيكون الله نصيراً لهم بنفسه."

وبهذا الشأن بين عليه السلام حكاية جاء فيها: "كان هناك عابد يدعو كثيراً، أن يخلصه الله من الذنوب وبعد دعاء كثير خطر بباله أنه يجب اتخاذ أكبر أسلوب للتواضع، فخطر بباله أنه ليس هناك تذلاً أكثر من الكلب، فبدأ ييكي كنباح الكلب، فسمع أحد وظن أن كلباً دخل المسجد وقد ينجس أوانيه، فجاء ولم يجد غير ذلك العابد، ولم يجد كلباً فسأله هل كان هناك كلب ينبح؟ فقال له أنا الكلب، وحين سأله لماذا كنت تبكي هكذا، قال لما كان الله يجب التواضع والتذلل فاتخذت هذا الأسلوب لعل بذلك يقبل تواضعي."

أقول: هذا كان ظنه فعمل بحسب ظنه. وكان يهدف من وراء ذلك أن يصبح أحقر الأشياء حتى ينال قرب الله بطريقة ما.

يقول المسيح الموعود عليه السلام في هذا السياق: "الإنسان الذي هو مخلوق ضعيف يعدّ نفسه لشقاوته كبيراً، حيث تنشأ فيه الأنانية والتكبر، فما دام المرء لا يعدّ نفسه أحقر فلن ينال النجاة".  
يقول حضرته عليه السلام ناصحاً المبايعين بإحراز أرفع معايير التواضع:

"البيعة تعني أن يبيع المرء نفسه، فبركاتها وتأثيراتها تقترن بهذا الشرط حصراً. فكما تُبذر بذرة في الأرض تكون حالتها في البداية، كأنها بذرت بيد المزارع وضاعت ولا يعرف ما الذي يحدث، (إذ قد دُفنت في الأرض واختفت في أعماقها ولا يُعرف حالها المستقبلي)، فإذا كانت البذرة جيدة وتمتع بقوة النبت والنمو فهي تنبت بفضل الله وسعي المزارع (وتنمو وتظهر لها البراعم) وتتحوّل بذرة واحدة إلى ألف حبة. كذلك المبايع لا يجد بداً من التواضع والانفصال عن الأنانية والنفسانية وعندها ينمو ويزدهر، أما الذي يحافظ على الأنانية حتى بعد البيعة فلا يفوز بأي فيض أبداً. (فمن دون التواضع لا تجدي البيعة أيضاً، فقال عليه السلام) بقدر ما تتصفون بالرفق والتواضع والتفاني سيرضى الله عنكم. فالذي ينتغي رضوان الله بالتواضع يرضى الله عنه".

ثم قال حضرته عن ماذا يجد الإنسان بالتواضع وما يكون مصيره إذا تكبر:

"لقد صدر الذنب من آدم قبل غيره، وارتكبه الشيطان أيضاً، ولكن آدم لم يكن متكبراً فاعترف بذنبه أمام الله تعالى فعُفِر له ذنبه. ومن هذا المنطلق تُتوقع مغفرة الذنوب نتيجة التوبة. (فقد غفر الله ذنوب آدم وإذا تواضع الإنسان مثله وتاب فليتوقع أن الله تعالى سيغفر له) ولكن الشيطان استكبر فصار ملعوناً. (إذ لعنه الله)، المتكبر يدّعي دون مبرر ما لا يوجد فيه (وليس من فطرة الإنسان أن يستكبر، لكنه مع ذلك يستكبر بلا سبب كالشيطان). يتحلّى الأنبياء بصفات كثيرة منها عدم الأنانية فلا تبقى فيهم الأنانية قط (أي يتخلون عن الأنانية نهائياً)، ويوردون موتاً على أنفسهم. الكبرياء لله، والذين لا يستكبرون ويتواضعون لا يضيعون". (ملفوظات مجلد ٩)

ثم قال حضرته في مناسبة ناصحاً بالتواضع:

يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"ما زال في جماعتنا كثيرون يثورون عند سماع كلام بسيط ضد نفوسهم، مع أن القضاء على كل هذه الثورات ضروري جداً، لكي ينشأ في الطبع الحلم والتسامح. من الملاحظ أنه حين يبدأ النقاش على أمر بسيط جداً، فكل واحد يحاول أن يغلب خصمه، لكي ينتصر عليه بأي طريقة ممكنة، في مثل هذه الأوضاع يجب اتقاء ثورة النفس، ورفع الفساد ينبغي التذلل تلقائياً عن عمد في الأمور البسيطة، يجب أن لا تسعوا أبداً لإذلال أخيك في المواجهة". (ملفوظات مجلد ٦)

إذا فحصنا أنفسنا من هذا المنطلق فسنجد الكثيرين مصابين بالغيرة الزائفة والأنانية، وبذلك تستخدم النزاعات، لكن الإنسان إذا أراد الفوز بقرّب الله فيتخلص من هذا، وليس ذلك فحسب بل بعضهم

يحاولون إلحاق الضرر بأسلوب غلط، وأحيانا يرفعون الشكوى أنه حصل لي نزاع مع فلان في موضع كذا، وأساء إلي والآن سأحاول أن أורطه في قضية مزورة باطلا ليواجه العقوبة.  
في مناسبة بين حضرته عليه السلام مثالا ما سيجده المتواضعون بعد الموت، فقال:  
يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"لا شك أن الموت مقدر للجميع، (إذ لا بد من الرحيل من هذا العالم يوما ما) والكل سيواجهه عاجلا أم آجلا. ولكن الذين يموتون في المسكنة والتواضع دون أن يكون فيهم أي شر كأن اللجنة تتقدم لاستقبالهم كما بين عيسى عليه السلام عن لعازر". (ملفوظات مجلد ٨)

من هو لعازر هذا؟ فقد ورد في إنجيل لوقا:

كَانَ إِنْسَانٌ غَنِيٌّ وَكَانَ يَلْبَسُ الْأَرْجُوَانَ وَالْبَزَّ وَهُوَ يَتَنَعَّمُ كُلَّ يَوْمٍ مُتَرَفِّهًا \* وَكَانَ مِسْكِينٌ اسْمُهُ لِعَازَرُ، الَّذِي طَرِحَ عِنْدَ بَابِهِ مَضْرُوبًا بِالْفُرُوحِ (والنواسير إذ كان مصابا بأمراض الجلد، وكان لا يبرح باب بيت ذلك الغني)، \* وَيَشْتَهِي أَنْ يَشْبَعَ مِنَ الْفَتَاتِ السَّاقِطِ مِنْ مَائِدَةِ الْغَنِيِّ، (أي كان يتوقع أن الغني سوف يرمي الطعام الفاضل وسوف يتناوله) بَلْ كَانَتْ الْكِلَابُ تَأْتِي وَتَلْحَسُ فُرُوحَهُ \* فَمَاتَ الْمِسْكِينُ وَحَمَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ إِلَى حِضْنِ إِبْرَاهِيمَ. وَمَاتَ الْغَنِيُّ أَيْضًا وَدُفِنَ، \* رَفَعَ عَيْنَيْهِ فِي الْجَحِيمِ وَهُوَ فِي الْعَذَابِ، وَرَأَى إِبْرَاهِيمَ مِنْ بَعِيدٍ وَلِعَازَرَ فِي حِضْنِهِ \* فَنَادَى وَقَالَ: يَا أَبِي إِبْرَاهِيمَ، ارْحَمْنِي، وَأَرْسِلْ لِعَازَرَ لِيُبَلَّ طَرْفَ إِصْبَعِهِ بِمَاءٍ وَيَبْرِدَ لِسَانِي، لِأَنِّي مُعَذَّبٌ فِي هَذَا اللَّهَيْبِ \* فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: يَا ابْنِي، اذْكُرْ أَنَّكَ اسْتَوْفَيْتَ حَيْرَاتِكَ فِي حَيَاتِكَ، وَكَذَلِكَ لِعَازَرَ الْبَلَايَا. (إذ لم يجد شيئا من نعم الدنيا) وَالْآنَ هُوَ يَتَعَزَّى وَأَنْتَ تَتَعَدَّبُ. (إنجيل لوقا ١٦ :

(٢٥-١٩)

فقال عليه السلام: "هذا هو مصير المستكبر في نهاية المطاف. فما دام المرء لا يتعامل مع عجز مسكينة ضعيفة بأخلاق كما يتعامل أو ينبغي أن يتعامل بها مع إنسان وجيه عالي النسب، ولم يجتنب كل أنواع التكبر والأناية والغطرسة فلن يدخل ملكوت الله أبداً".

ثم قال حضرته عليه السلام:

"يريد المتكبر أن يجلس على عرش الله تعالى، فاستعيذوا دوماً من هذه الخصلة القبيحة. فتحلوا بالتواضع، حتى لو كانت معكم جميع وعود الله، لأن المتواضع حصراً حبيب الله".

ثم تحدّث عليه السلام عن حدث من منطلق التواضع والتمسكن:

"التواضع والتمسكن صفة رائعة، فالذي يتكبر مع كونه محتاجا لا يبلغ مرامه أبداً، فعليه أن يتواضع. يُروى أن الطبيب جالينوس كان موظفاً عند ملك، (فهذه حكاية أخرى) وكان الملك معتادا على تناول بعض الأشياء الرديئة وبناء على ذلك كان جالينوس متأكداً أنه سيصاب بالجذام (لأنه كان يتناول أغذية سيئة، وفي العصر الراهن أيضا هناك ضجة ضد تناول وجبات سريعة غير صحيّة، وربما كانت في ذلك العصر

أيضا، فكان جالينوس متأكدا من أن هذه الوجبات سوف تُمرضه، وقد يصل الأمر إلى إصابته بالجذام). فمَنَعَه جالينوس كثيرا، ولكنه لم يمتنع. فاضطر جالينوس للهروب من هناك أخيرا والذهاب إلى وطنه. وبعد فترة من الزمن بدأت آثار الجذام تظهر على جسم الملك، (فقد تحقق ما قال جالينوس، فبدأ يصاب بالجذام) عندها أدرك الملك خطأه وتواضع. فأجلس ابنه على العرش وارتدى لباس الرهبان وذهب إلى جالينوس. عرفه جالينوس وأعجب بتواضعه (أي قد أدرك خطأه وجاءه بتواضع للعلاج) فعكف على علاجه بكل جهد وقوة فشفاه الله تعالى".

لقد ذكر حضرته عليه السلام إلهاما له في مجلس، ونصح الحضور، وعن ذلك ورد في رواية كالتالي: لقد جاء حضرته عليه السلام قبيل صلاة الفجر وجلس في مجلس وقال عن إلهام "إني أحافظ كل من في الدار، إلا الذين علوا واستكبروا": ليس المراد من العلو والاستكبار هنا الاعتزاز بالمال والوجاهة، بل كل من لا يقدم نفسه أمام الله بالتواضع والتذلل ولا يستجيب لأوامره يدخل في ذلك وإن كان فقيرا. (ملفوظات مجلد ٣) فلن يعدَّ من أهل الدار غير المتواضع.

ثم قال حضرته: "حين يحرز الإنسان النجاح وتزول عنه حالة العجز والمصيبة، فإن الذي يتواضع في ذلك الوقت ويذكر الله فهو الكامل".

إن حضرته عليه السلام لم ينصح الجماعة فقط بهذه الأمور، بل قد أثبتها بعمله أيضا، كما بينتُ في أول الخطبة أن الله تعالى أعجب بعمله. فهناك بعض الروايات تلقي الضوء على أنه كم كان يتحلى بهذه الخصال شخصيا.

لقد روى حضرة مرزا بشير أحمد رحمته الله وقال لقد أخبرني مرزا سلطان أحمد: كان جدي يقدم الكرسي لعمي مرزا غلام قادر المحترم. أي عندما كان الأخ الأكبر للمسيح الموعود عليه السلام في مجلس جدِّ حضرة مرزا سلطان أحمد أو كان يزوره كان يقدم له الكرسي.

أما والدي فكان يذهب إليه ويجلس على الحصير المفروش. (أي لما كان المسيح الموعود عليه السلام يذهب في مجلس جدِّنا فإنه كان يجلس في الخلف على الحصير بين عامة الناس.) وإن قال له جدنا أحيانا أن يجلس على مكان مرتفع ردَّ عليه والدي: إنني مرتاح بالجلوس هنا.

لم تنشأ لديه يوماً رغبة في أن يجلس في مكان مرتفع، بل كان يجلس بين عامة الناس. فكما مرَّ سابقاً أن حضرته نصح قائلاً: "إن المضيف بنفسه سيجلسك في مكان مرتفع إذ رأى ذلك مناسباً"، فكان حضرته قد عمل بهذا الأمر طوال حياته.

كذلك يقول مرزا بشير أحمد: حدثني القاضي أمير حسين وقال: في إحدى المرات سألتنا المسيح الموعود عليه السلام: ورد في الحديث النبوي الشريف أن جميع الأنبياء قد رعوا الأغنام، فهل حدث أن رعيت الأغنام؟ قال: "نعم، خرجتُ مرة إلى جانب الحقول حيث كان أحدٌ يرعى غنمه، فلما رأني قال: سأذهب لقضاء

حاجة ما، وأرجو منك أن تعتني بأغنامي. فذهب ولم يعد إلا عند المساء، فاضطرت لرعي أغنامه إلى حين عودته".

فظل حضرته يرعى أغنامه طوال اليوم مع أنه كان ابن رئيس المنطقة، وابن رئيس كبير، ولكن لم ير في ذلك عازراً، بل استمر حتى المساء يرعى أغنام ذلك الرجل الذي لعله كان من مزارعيه أو أحد عماله. كذلك ذكر الخواجة عبد الرحمن العامل في مكتب جريدة الفضل عن تواضع حضرته فقال: لقد قمتُ بخدمة البوابة على باب حضرة المسيح الموعود عليه السلام، (أي كنتُ أجلس خارجاً عند باب حضرته لحراسة المكان، ولأبلغه رسائل القادمين والذاهبين، أو للإطلاع على بعض الأمور، أو للقيام بأي عمل ضروري. على كل حال،) يقول: كنتُ أجلس خارج باب بيت حضرته، وأقمت مدة طويلة داخل دار حضرته أيضاً، وكنت أدخل إلى بيت حضرته أيضاً. ولم أسمع من حضرته قط أن يتكلم دون كلمة "جي" (وهي كلمة الاحترام تُستخدم عموماً عند الحديث مع كبار الناس سنّاً ومنصباً). كان حضرته كلما تكلم استعمل كلمة "جي" (أي كلما تكلم معي حضرته كان يستخدم كلمة "جي" حتماً في كلامه). لم أر فيه قط تكبراً ولا غروراً. كان دائماً يتكلم بحلم، وكانت البشاشة تملو وجهه دائماً. لم أره قط يعبس وجهه أو يتقطب حاجبيه أو جبينه. ولم أسمع قط أنه خاطب أحداً بكلمة "يا فلان" أو خاطبه بصيغة المفرد "أنت"، بل كان يخاطب الجميع دوماً بكل احترام.

كتب مرزا بشير أحمد أن الدكتور مير محمد إسماعيل حدّثه قائلاً: ما كان المسيح الموعود عليه السلام يستحي أبداً من القيام بأي عمل منزلي. كان يبسط الأسيّة بنفسه، وينظف الأرض أي كان يستخدم المكبسة اليدوية للتنظيف، ويرتب الأسيّة بنفسه. وإذا نزل المطر فجأة ليلاً، وكان الأطفال الصغار نائمين على السرر، يمسك حضرته بنفسه جانباً من السرير، ويمسك شخص آخر من الجانب الآخر، فيحملانه إلى الشرفة. (لقد شاعت اليوم المكيفات والمراوح الكهربائية وغيرها، أما في ذلك العصر فكان الناس خلال موسم الصيف ينامون ليلاً في باحات دورهم. وعند هبوب العواصف أو نزول الأمطار كانوا يضطرون لنقل الأسيّة إلى الشرفة، وكان حضرته يساعد في نقل أسيّة الأطفال).

وإذا أراد أحد أن يوقظ الأطفال في مثل هذه الحالة أو في الصباح بأن يهزهم بعنف، كان حضرته يمنعه وكان يقول: "إذا هزتم الأطفال فجأة بهذه الطريقة، وصرختم، يفزعون. فأيقظوهم بالمناداة عليهم بهدوء". ثم يذكر مرزا بشير أحمد رواية أخرى فيقول: حدثني مرزا سلطان أحمد بواسطة المولوي رحيم بخش وقال: كان والدي المحترم يقيم في الطابق الثاني من البيت الخارجي وكان طعامه يُرسل إليه هناك. (يقول مرزا سلطان أحمد عن والده المسيح الموعود عليه السلام أنه كان يقيم في الطابق الثاني في الجزء الخارجي من البيت، وكان طعامه يُرسل هناك، وهو المكان الذي صام فيه حضرته، ولقد ذكره حضرته عن تلك الأيام أن طعامه

كان يرسل إليه، وكان بدوره يوزعه على الفقراء.) على أية حال، كان الطعام يرسل إليه، وكان حضرته يأكله مهما كان نوع الطعام وجودته، دون أن يقول شيئاً.

هناك واقعة مشهورة جداً في تاريخ الجماعة، وإنها تعود إلى ما قبل إعلان حضرته عن دعواه. لما عاد المولوى محمد حسين البطالوي من دلهي إلى "بطاله" بعد أن أصبح شيخاً وعالمًا جديدًا، أحدث ضجة كبيرة في المنطقة. وفي ذلك الوقت كانت المناقشات العلمية شائعة جداً بين المقلّدين (الذين يتبعون أحد أئمة المذاهب الفقهية كالحنفي والمالكي وغيرهم) وبين غير المقلّدين (الذين لا يقلّدون أحد الأئمة، مثل أهل الحديث وغيرهم). فلما رأى أهالي "بطاله" هذا الضجيج والجدل، وقعت أعينهم على حضرته عليه السلام، وقرروا أن يجعلوه في مواجهة هذا الشاب. وكان لديهم يقين بأن حضرته عليه السلام هو الوحيد القادر على إسكات هذا المولوي الشاب.

وبصعوبة بالغة أقنع حضرته بالمشاركة في هذه المناظرة، إذ لم يكن راضياً في الخوض فيها إلا أنه لما كثر إلحاح الناس استعد لها. فأحضر حضرته إلى مكان المناظرة الذي اجتمع فيه عدد كبير من المؤيدين من كل الطرفين. وفي ذلك اليوم كان جماعة المقلّدين على يقين تام بتحقيق النصر المسبق، وكان من الطبيعي أن يكونوا كذلك، لأنهم قد دعوا اليوم هذا العالم الجليل للمناظرة. (أي: كان المقلّدون يظنون أنهم فائزون اليوم لا محالة، لأنّ حضرة المسيح الموعود مرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام، قد حضر اليوم للمناظرة.) لأنه عُرف بقبضته المُحكّمة في المناظرة لدرجة أن خصمه يصبح كالطائر المكتوف الجناحين وبلا حول ولا قوة.

على أية حال، عندما وصل حضرته عليه السلام إلى مكان المناظرة، سأل المولوي محمد حسين البطالوي: "أخبرني عن آرائك ومعتقداتك حتى أرد عليها". فقال المولوي محمد حسين البطالوي: القرآن الكريم مقدّم عندي، ثم الحديث وقول الرسول ﷺ، وعلى أساسهما يجب أن يتم الحكم. فلما سمع حضرته عليه السلام منه هذا قال: "لا أرى في معتقداتك وآرائك شيئاً يستحق الاعتراض أو الرد عليه". فاضطرب الذين جاؤوا بحضرته، وظنوا أن الأمر بهذا الشكل سينتهي بهزيمتهم، وسيعلن الفريق الآخر النصر لأن حضرته قال بشكل واضح أنه لا يرى في معتقداته شيئاً للاعتراض عليه، وبالتالي أرادوا بأي ثمن أن يعرّضوا المولوي محمد حسين لشيء من الخجل والندم في ساحة المناظرة. لكن حضرته عليه السلام -الذي كان في غاية الزهد في النصر والهزيمة ولا في الفخر والإذلال- قام وانصرف من هناك مظهرًا أقصى درجات التذلل والتواضع.

لقد كتب حضرته عليه السلام عن هذه الحادثة كما يلي:

"تلقيت إلهاماً عجيباً بالأردية في عام ١٨٦٨م أو ١٨٦٩م أرى ذكره هنا مناسباً. كان سبب نزول ذلك الإلهام عائداً إلى أن المولوي أبا سعيد محمد حسين البطالوي -الذي كان في زمن من الأزمان زميلي أيضاً في المدرسة- حين جاء إلى بطاله إثر تحرّجه شيخاً، استثقل أهلها أفكاره فألحّ عليّ أحد الناس بشدة متناهية للنقاش معه في قضية خلافية معينة. فنزولاً عند رغبته رافقته إلى بيت الشيخ المذكور في إحدى

الأمسيات، ووجدته مع أبيه في المسجد.

باختصار، علمت بعد سماع خطاب الشيخ المذكور أنه لا يوجد فيه ما يُعترض عليه، فانسحبت من النقاش ابتغاء مرضاة الله. فخاطبني الله تعالى في الإلهام ليلاً مشيراً إلى انسحابي من النقاش فقال ما معناه: "لقد رضي الله بفعلك هذا، وسيباركك بركات كثيرة حتى إن الملوك سيتبركون بثيابك". ثم أُريتُ في الكشف هؤلاء الملوك أيضاً الذين كانوا ممتطين صهوات الجياد. فلأنني كنت قد اخترتُ التواضع والتذلل لوجه الله ورسوله لذا لم يُرد ذلك المحسن القدير أن يتركني دون أجرٍ".

لقد أورد حضرة الشيخ يعقوب علي العرفاني هذه الحادثة في كتابه "حياة أحمد"، ثم علّق عليها أيضاً. فقال: إن الناس يعرفون جيداً الأسلوب الشائع في المناظرات وحال المناظرين. فإن قبول كلام الطرف المخالف أو الخصم إذا كان حقاً، والاعتراف به أمام العامة، أمر في غاية الصعوبة عندهم. لا أحتقر العلماء، ولكنه صار من السهل على العلماء اليوم أن يبذلوا حياتهم، أما أن يقبلوا الكلام الصحيح والمعقول من الطرف الآخر فلا يعتادونه أبداً، ناهيك عن الاعتراف بخطئهم. (ولا زالت هي حالة علماء اليوم أيضاً) أما حالة المسيح الموعود عليه السلام فكانت مغمورة تماماً بالإخلاص ومرضاة الله. ويبدو أنه لم يكن يحب بالطبع أن تقوم بين المسلمين حرب داخلية، وأن يتركوا قبول الحق والصدق في مسائل الاختلاف فيما بينهم. ما أعظم هذه الشجاعة بحيث ذهب إلى بيت الشخص الذي قصده لينظره، لا يوجد في طبعه أي تردد أو خوف من علمه وتأثيره، ولكنه حين سمع منه كلمة حق، لم يبالٍ مطلقاً بما سيقوله الناس، ولا يهمله إن كانوا سيعدّون موقفه هروباً أو تعبيراً عن الرهبة من الطرف الآخر، بل قبل الحق الذي سمعه، وختم على صحته بإقراره له.

هذا فعل لا نظير له إلا في سير الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم المخلصين الخواص. ولا يمكن أن يتأتى الإخلاص في الدين وروح التغلب على الهوى والشهوات إلا بفضل الله تعالى وحده. ثم ظهرت آثار قبول هذا الفعل في الحال، فبشّره الله تعالى بوحيه، وكأن الله تعالى منحه شهادة رضاه عنه. والإنسان بطبعه يتطلع في هذه الدنيا إلى زيادة القبول وإقبال الناس عليه، فأخبر الله تعالى أن ثمرة هذا الفعل ستكون أن "الملوك سيلتمسون البركة من ثيابك". وكان ذلك في زمن لم يخطر بباله فيه قط أمر تأليف "البراهين الأحمديّة"، ناهيك عن أي دعوى. وكان عليه السلام يعيش حياة شبه منقطعة عن الدنيا، وقد ترك وظيفته، ومع ذلك فإن هموم المستقبل لم تكن تشغل قلبه وعقله، إلا أن أهله كانوا، بطبيعة الحال، يفكرون فيما سيؤول إليه أمره. وفي ذلك الوقت جاءه هذا الإلهام بأن الملوك سيلتمسون منه البركة، في حين أنه لم يكن يملك شيئاً. وكان والده الكريم لا يزال على قيد الحياة آنذاك.

باختصار، هذه مرحلة من الحياة تتعاضم فيها الآمال لدى الإنسان الدنيوي، وهو جزء من العمر تبلغ فيه جميع أنواع الأفكار ومشاعر الكبرياء وحبّ الظهور ذروة تأججها. وفي مثل هذه السنّ، يشتدّ حرص المرء

على التمسك برأيه والإصرار عليه. ومع كل هذه، ذهب السيد مرزا إلى مناظرةٍ مع مولويٍّ مشهور، فاستمع إلى كلامه، ووجده حقًا فصدّقه. ولم يبال بما قد يقوله الناس، ولم يكثرث بأن الناس يعارضون ذلك الرجل بسبب بعض معتقداته، وأني أؤيده بتصريحِي، وذلك قد يثير سيلاً جارفاً من الإساءة لي. فتأملوا، حين كانت الحرب بين الحنفية وغير المقلدين على أشدها، وكان تأييد أحد من أهل الحديث مدعاة لاجتلاب بلايا لا حصر لها، في هذه الظروف تجرّ السيد مرزا على تأييد المولوي محمد حسين، مع أنه كان قد دُعي أصلاً لمناظرته.

أما الظن والوهم بأن علو كعب علم المولوي محمد حسين هو الذي أوجب إسكات حضرته في ذلك الوقت فسيكون محضَ حماقة. ولعل هذا الوهم كان له شيء من الوزن لو لم تحدث بعد ذلك مناظرات شفوية وكتابية مع المولوي محمد حسين، ولو لم يخرج هذا الفتى المحمدي لمواجهة ذلك الخصم الخطير. (ليس صحيحًا أن حضرته خضع لتأثيره في ذلك الوقت، إذ يثبت التاريخ لاحقًا أنه تحدّى المولوي محمد حسين مرات عدة، ودعاه للمبارزة، وأوضح له ما إذا كان على صواب أم خطأ، ثم كتب السيد عرفاني) ولم يؤثر خوف علمه وتأثيره عليه ولو لثانية واحدة في أي وقت آخر. هذه وقائع، لا يستطيع أحد تكذيبها. ففي هذه الحالة، هذ الظن ضرب من الجهل. بل كان وراء ذلك شيء واحد فقط، وهو: الإخلاص في الدين." (حياة أحمد السبكي ج ١)

كان حضرته السبكي بسبب الإخلاص في الدين قد أقر في ذلك الوقت بما قاله المولوي محمد حسين البطالوي، وليس خوفًا منه، لأن حضرته تحدّاه بعد ذلك مرات عدة، ووجّه إليه الدعوات، ووجهه إلى سواء السبيل.

لقد بلغ المسيح الموعود السبكي دعوة الحق إلى المولوي محمد حسين البطالوي في رسالته إليه، ومع أنه كان يشغل مقامًا رفيعًا بوصفه مبعوثًا من الله تعالى، فقد أظهر أسمى درجات التواضع والانكسار، فكتب: "السيد الكريم أخي المولوي، سلمك الله تعالى. وصلتني رسالتك الكريمة. ومشكلتي الكبيرة (كتب السبكي تحية السلام أيضًا، ثم قال) مشكلتي الكبيرة أن صحتي كثيرًا ما تنهار فجأةً إلى حدٍّ يُحِيل فيه أن الموت مائلٌ أمام العينين، وقدّر من الوهن مُلازمٌ ليلاً ونهارًا. فإن أطلتُ الحديث، انتابني نوبة المرض، وإن أكثرتُ التفكير، عادت إليّ تلك النوبة بعينها. كان يبدو من رسالتك الأخيرة أنك كتبتها بمعية السيد المولوي عبد الجبار، أي أنكما اشتركتما معًا في كتابتها. لذا كان الرد أيضًا على هذا النحو. قد أرهقتني غلبةُ المرض إرهابًا بالغًا، (أي المرض في هذا الوقت شديد للغاية). فأني لي الطاقة على الخوض في جدالات قولية أو كتابية؟ (لم يعد لي متسع من قدرة لخوض النقاشات).

إنني بمحض فضل الله تعالى كتبتُ هذه الكتب الثلاثة (الكتب التي ألفتها: فتح الإسلام، وتوضيح المرام، وإزالة الأوهام)، وذلك على النحو التالي: كان شخص آخر يكتب في الغالب ما أملكه، ونادرا ما تسنى

لي أن أكتب بيدي شيئاً. ولم يكن ثمة من الوقت ما يكفي لتنتقيح العبارة وتهذيبها. معلوماتكم في علم الحديث واسعة جداً (يكتب عليه السلام إلى المولوي قائلاً: لقد ألفت هذه الكتب الثلاثة، أما أنت فمعلوماتك في الحديث واسعة وأنت عالم جليل)، وهذا الفقير رجل أمي جاهل (وصف المسيح الموعود عليه السلام نفسه بالأمي الجاهل)، ولا يوجد فيه شيء لا في العبادة ولا المجاهدة (وهو يظهر غاية التواضع)، ولا العلم ولا الكفاءة. تلقيتُ أمرًا من الله تعالى، وكان قطعياً يقينياً، فقد بلغته. أما القبول أو الرفض فموقوف على رأي كل امرئ وفهمه". (وقد بلغ الدعوة إليه بغاية التواضع.) (رسائل أحمد ج ١)

لقد نُشرت رسالة من حضرته عليه السلام إلى المنشى أحمد جان عليه السلام، وقد تضمّنت أيضاً ذكر تواضعه وانكساره. وقد كتب:

"وصلتني رسالتك الكريمة. لا يمكن أداء الشكر على منن الله الكريم الذي هيا لأحقر العباد هذا أحبّابا وجودهم مفخرة لي. أسعدك الله الكريم وجزاك لهذه الأمنيات الصادقة. إن هذا العبد الفقير عاجز وحقير للغاية وإنه محض منة أرحم الراحمين وإحسانه أنه يمطر على هذا العبد الحقير أفضاله الكثيرة دون أدنى استحقاق. هو يرى مني تقصيرا بعد تقصير ويقابله بمن بعد منّ، ويرى مني ظلما تلو ظلم ويقابله بإنعام تلو إنعام. في الحقيقة هو رحيم وكريم للغاية. فمن أين لي بلسان أتمكن به من أداء شكره عليه السلام. إن هذا العبد المتواضع حقير وذليل وخالي الوفاض ومفلس تماما. إنه عليه السلام وجدني في التراب فرفعني، (وجدني على الأرض فأقامني) ورآني محض عديم الكفاءة فسترني، ونظر إلى ضعفي فمنحني القوّة من عنده، ورأى جهلي فعلمني من لدنه. (فكل ما عندي من علم فهو من عطاء الله تعالى وفضله.) أسبغ علي من عناياته ما لا أستطيع إحصاءه، ومن مظاهر عناياته عليه السلام أنه ألقى محبتي في قلوب إخوة كرام أمثالك. وهذا أيضاً متعلق بإحساناته أنه سيزيد هذا الحب وسيتفضل على كل من انتظم في هذا السلك، وسيزيد تقدما كل من انتسب إلى جماعتي".

كتب شيخ يعقوب علي عليه السلام ملحوظة بعد نشر هذه الرسالة: يظهر من هذه الرسالة أن قلب المسيح الموعود عليه السلام كان مفعما بمحبة الله وعظمته بشكل لا حدود له، كما يبرز فيه كمال التواضع والتذلل والخشوع، وكانت روح الامتنان تتجلى في نفسه على هذه المنن والنعيم.

عندما أعلن المسيح الموعود عليه السلام أنه مثيل المسيح، بدأ المولوي محمد حسين البطالوي معارضة شديدة له، وأخذ يرأسه بأسلوب متكبر وقبيح جدا مستخدماً ألفاظاً وألقاباً مسيئة للغاية، كما شرع في استخدام عبارات غير لائقة في مجلته "إشاعة السنة"، معلنا أن هذه الدعوة فتنة، ومتوعدا بالقضاء على هذه الجماعة وتفريق شملها، وقد بلغ به الأمر أن كتب: "كما رفعته إلى السماء، سأهوي به إلى الأرض"، زاعما أنه هو من رفع المسيح الموعود عليه السلام بشنائه ومدحه، وهو الآن سيُسقطه. وكان المولوي يظن أن إشاداته بكتاب "البراهين الأحمديّة" أدّت إلى رفع مكانة حضرته عليه السلام إلى العلا. غير أن حضرته عليه السلام، قابل كل هذا

الكلام البديء والخطاب المتكبر والمراسلات المسيئة، بمنتهى الحلم والصبر والتواضع والإنكسار ما فاق به حتى حلم المسيح الناصري عليه السلام. وفيما يلي نستعرض رسالة واحدة من رسائله إلى المولوي محمد حسين البطالوي، ليتضح منها كيف أن قلب حضرته عليه السلام مفعما بالمودة والإخلاص والتواضع، مقابل فظاظة المولوي وتكبره. وقد كتب حضرته مخاطبًا المولوي:

"وصلتني رسالتك الكريمة، إن الله الكريم يعلم حق العلم أنني مبعوث منه، ولا أنبس بكلمة في أمور يُخشى فيها وقوع العامة في الفتنة ما لم تظهر علي بصورة كاملة وقطعية ويقينية. ولا بد أنها من حكمة الله الكريم أن حقيقة مسألة نزول المسيح التي لا علاقة لها بأصل الإسلام وجوهريه، قد كُشفت على مسلم، فينبغي أن يحسن الظن به كونه أحمًا في الدين. (أي لقد أثبت أن عيسى عليه السلام قد مات فكان يجب أن تؤيدني لكوني مسلمًا، ولكنك بدأت تعارضي. قال عليه السلام)

وقد أعطيت سيادتكم حماسًا للكتابة المخالفة، وأعلم قد تكون نيتك صالحة فيها (لعلك قمت بالمعارضة بنية حسنة) وعلى الرغم أن لدي شكوى من تسرعك (تُبدي تسرعًا وتستخدم في حقي كلمات غير لائقة بسبب التسرع) وقد أعبر عن ذلك في حضورك أو في غيابك، إلا أنني أحسن الظن بنيتك، (ما زلت أحسن الظن بك) وأعتبرك أفضل من معظم علماء هذا الزمن، بل إن لم تغضب فأقول إنني أراك أفضل من السيد المولوي نذير حسين بسبب بعض جهودك في سبيل الله. وعلى الرغم من شكواي منك في هذه الأمور، فإنني أكنّ لك المحبة بسبب صفاء باطنك. وإذا لم يعرفني الناس سأعتبر ذلك قدرتي، لا يعينني النصر ولا الهزيمة، بل غرضي كلة العبودية وطاعة الأمر. لا يهمني أن أحقق النصر أم لا. إنما أمرني الله تعالى بهذا الأمر، فأنا أقوم به طاعةً له، فأعلنثُ دعواي. أعلم أنكم ستأذون من هذا الخلاف، ولكن الأفضل عندي أن نتحدثوا معي أولاً، وأن تطلعوا على كتيبي، خاصة الكتب الثلاثة فتح الإسلام، توضيح المرام، وإزالة الأوهام، ثم تكتبوا شيئًا. ليس عندي أي غم أو حزن من أنكم - وأنتم صديق - قد أعددتكم أنفسكم للمعارضة، لأن هذه المعارضة قد تكون أيضًا في سبيل الحق لعلكم تُدافعون عن الحق، ولكن عليكم أن تقرؤوا كتيبي أولاً. والآن حصلت لي الصحة لملاقاتكم. صحتي جيدة، وأستطيع أن آتي للقاء. فإن جئتم إلى بطاله، فمع أنني مريض وفي حالة ضعف شديد بحيث لا أستطيع أداء الصلاة قائمًا، إلا أنني أستطيع أن آتي إليكم متعثرًا ومتمايلًا. لدي من الصحة ما يمكّني من السفر، غير أنني أعاني من الصداع والدوار. وعلى كل حال، سأحضر".

يكتب المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام في مکتوب إلى المولوي محمد حسين البطالوي: "إن لم تتأذوا، فإنني أرى في علمي أن كتابتكم كانت فيها شيء من الخشونة تجاه السيد المولوي حكيم نور الدين مقارنة مع هذا المتواضع. لقد استعمل ألفاظًا شديدة في الرسالة التي كتبها إليه. إن الله تعالى يجب دائمًا الانكسار والتذلل، وينبغي أن تكون أخلاق العلماء مع إخوانهم في أعلى درجات الرفعة. يجب أن تكون الأخلاق

حسنة. ما هو الغرض من ذلك الدين الذي نسعى ليلاً ونهاراً لنصرته والحنو عليه؟ ليس إلا أن تكون أحوالنا وأفعالنا وحركاتنا وسكناتنا موافقة لمشيئة الله ورسوله ﷺ. أرى أن الله تعالى يجب من جميع أقسام الأخلاق التواضع والانكسار وكل نوع من التذلل الذي ينافي النخوة، ولا يوجد شعبة من شعب الخلق يحبها الله مثل هذه. أتذكر أنه مرة وقعت بيني وبين هندوسي شديد الكفر محادثة، وقد استعمل ألفاظاً في تحقير الدين تجاوزت الحد. فبسبب حدة الغيرة للدين، عملتُ إلى حد ما بقوله تعالى ﴿وَاعْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾، ولكن بما أن هذه الخشونة كانت موجهة إلى شخص معين، أوحى إليّ: «في خلقك شدة كثيرة، الرفق الرفق». مع أنني قد رددتُ عليه، فقد أمرني الله تعالى بعد ذلك أن أرفق به. وإن أنصفنا أنفسنا، فإن شأننا وشأن علمنا كذا وكذا. لو ضرب طائر صغير منقاره في البحر لما نقص منه شيئاً. الأفضل لنا - ونحن في الحقيقة "خاكسار" - أن نبقى تراباً. إذا كان مولانا لا يحب منا التكبر والنخوة، فلماذا نسعى إليه؟ إن العزة التي تجعلنا محل عتاب الله أفضل لنا من تلك العزة التي تجعلنا بعيدين عن رضاه. لأنَّ هُنا خيرٌ لنا من أن نُغضبَ الله تعالى".

إذ كان كل قولٍ له وكل فعلٍ له مفعماً بإظهار التواضع، ولم تكن له إلا غاية واحدة، وهي طلب رضا الله تعالى. وأن تُبلِّغ رسالته إلى العالم، وتُقام وحدانيته. وكان يوصينا مراراً وتكراراً بأن نتواضع، فإن في ذلك صلاحنا وخيرنا، وهو الذي يقربنا إلى الله تعالى. نسأل الله تعالى أن يوفقنا لاتباع سبل التواضع. آمين.

\*\*\*\*